سلسلة نساء النبى ﷺ
(٢)

الصَّالحَةُ الحَانِيَةُ
سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ

رضى الله عنها

تأليف
محمد محمود القاضى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

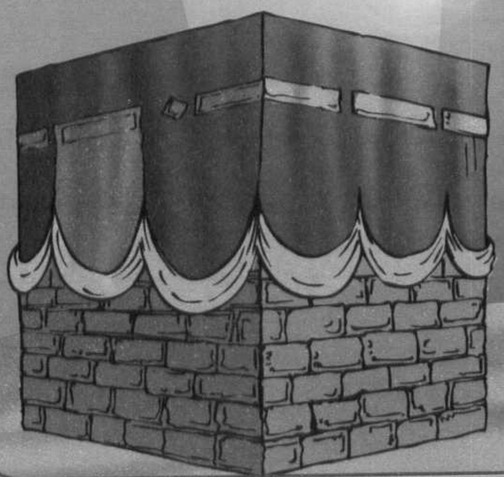
رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٥٦١٢
الترقيم الدولي: I.S.B.N
977-265-647-7

دار التوزيع والنشر الإسلامية
مصر - القاهرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ش بور سعيد ت:٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

بنو عامر بن لؤى

بدأ الإسلام ينتشر قليلاً فى مكة، وكان ممن أسرع إلى الإيمان بالله ورسوله نفر من بنى عامر بن لؤى، منهم السكران بن عمرو بن عبد شمس وامرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية القرشية.

وتعرض المسلمون الأوائل لأذى قريش وبطشها، فأذن الرسول ﷺ لمن شاء من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر من بنى عامر ثمانية نفر منهم السكران وزوجته سودة، وبعد فترة سمع مهاجرو الحبشة بإسلام أهل مكة جميعًا فعادوا إلى مكة، فوجدوا أن الخبر كاذب، وبعد فترة قصيرة مات السكران، وترك زوجته سودة تقوم على رعاية أطفالها.



رؤيتان عجيبتان:

وكانت سودة - رضى الله عنها- قبل وفاة زوجها السكران بفترة قليلة قد رأت فى المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطئ على عنقها، فأخبرت زوجها بذلك، فقال: وأبيك لئن صدقت رؤيتك لأموتن وليتزوجنك رسول الله.

فقالت: حِجراً وسِتراً (أى تنفى عن نفسها أن يحدث منها ذلك).

وما هى إلا أيام حتى كانت سودة على موعد مع رؤيا أخرى، فقد رأت أن قمراً انقضَّ عليها من السماء وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها، فقال: وأبيك لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيراً حتى أموت وتتزوجين من بعدي، فاشتكى السكران من يومه ذلك فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات.

الزواج من رسول الله ﷺ:

وفى العام العاشر من بعثة النبى ﷺ توفيت السيدة خديجة -رضى الله عنها-، وشعر النبى ﷺ بعد وفاتها بألم الوحدة والفراق.. فدخلت عليه السيدة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ذات يوم وقالت له: أى رسول الله، ألا تتزوج؟

فقال: ومن؟ فقالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا.

قال: فمن البكر؟ قالت:ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر.

قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة بن قيس: قد آمنت بك واتَّبعتك على ما أنت عليه.

ووقع كلام خولة فى نفس رسول الله ﷺ موقعًا عظيمًا، فعائشة وسودة من خير نساء قريش، وأكرمهن نسبًا، فالأولى بنت حبيبه وصديقه أبى بكر الصديق -رضى الله عنه-، والثانية من السابقات إلى الإسلام، ومن خير بيوت قريش من جهة أبيها ومن جهة أمها، فأمها الشموس بنت قيس بن عمرو من بنى النجار من قبيلة الخزرج بالمدينة.

فقال النبى ﷺ: اذهبى فاذكريهما على، فذهبت خولة إلى بيت أبى بكر وحدثتهم فى أمر عائشة، ثم ذهبت إلى سودة وقالت لها: أى سودة، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ يخطبك عليه. فقالت: وددت، ادخلي على أبي فاذكرى له ذلك، قالت: وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج فدخلت عليه فحيَّته بتحية أهل الجاهلية، ثم قلت: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلنى أخطب عليه سودة. قال: كفء كريم، فماذا

تقول صاحبته؟ قالت: تحب ذلك، قال: ادعيها إليَّ. فدعيت له، فقال: أي سودة، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك وهو كفء كريم أفتحبين أن أزوجكه.

قالت: نعم. قال: فادعيه لي، فدعته، فجاء فزوجه.

وجاء أخوها من الحج، فجعل يحثي في رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة.

وكانت السيدة سودة قد ترددت فى بداية الأمر أن تقبل الزواج من رسول الله ﷺ، وذلك من شدة حرصها على رسول الله ﷺ، فقد كانت سودة -رضى الله عنها- تخشى على رسول الله ﷺ من كثرة أولادها: فقد كانت امرأة مُصْبِية لها خمسة أو ستة أولاد، ولصدقها مع رسول الله ﷺ صارحته بما يدور فى رأسها، وقالت له: والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي، ولكني أكرمك أن يضغو هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية (تعنى ما يسببه الصغار من صياح وضجيج).

قال ﷺ: فهل منعك منى غير ذلك؟ قالت: لا والله. فقال لها رسول الله

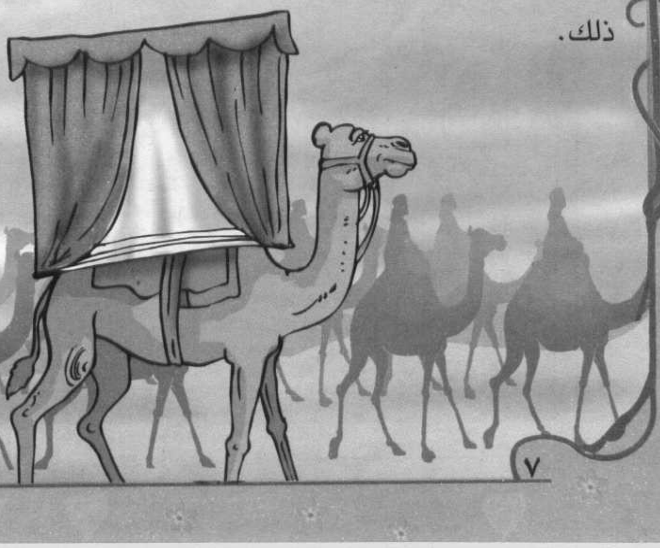
ﷺ: **«يرحمك الله، إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل صالح نساء قريش: أحناه على ولد فى صغره وأرعاه على بعل بذات يده»**.

وكان زواجها من رسول الله ﷺ في رمضان سنة عشر من النبوة، وانفردت سودة برسول الله ﷺ حوالى ثلاث سنوات حتى دخل بعائشة -رضى الله عنها-.

صاحبة الهجرتين:

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى بناته وزوجته سودة فحملاهن من مكة إلى المدينة، فكانت سودة ممن هاجرن الهجرتين.

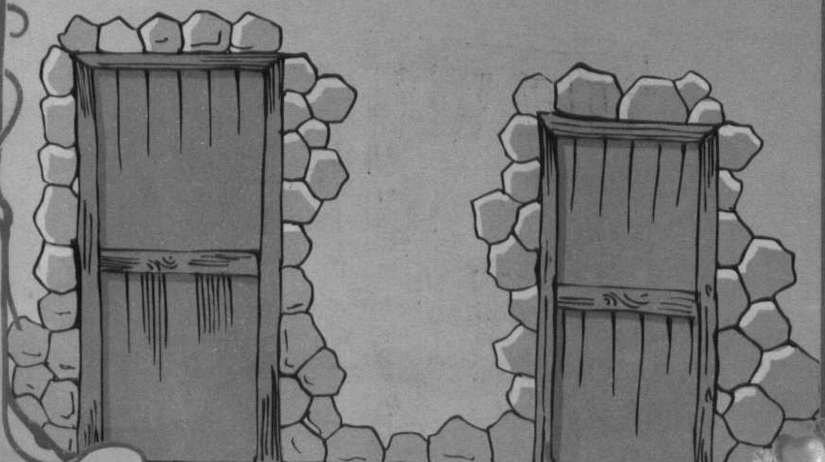
وعندما بنى رسول الله ﷺ مسجده، أقام حجرتين إلى جوار المسجد إحداهما لسودة والأخرى لعائشة -رضى الله عنها- حيث بنى بها بعد ذلك.



سودة وأمهات المؤمنين:

انفردت السيدة سودة برسول الله ﷺ ثلاث سنوات حتى تزوج بعائشة -رضى الله عنها-، حاولت خلال هذه السنوات الثلاث أن تملأ الفراغ الذى تركه موت خديجة فى نفس رسول الله، فكانت سودة خلال هذه الفترة نعم الزوجة.

ولما تزوج الرسول ﷺ من عائشة لم يصب سودة -رضى الله عنها- ما يصيب النساء فى مثل هذه الحالات من اشتعال نار الغيرة فى قلوبهن، فقد خطبها الرسول ﷺ هى وعائشة فى وقت واحد، وإنما تأخر دخوله بعائشة لحداثة سنها يوم خطبها، وكان يكفيها أنها تعيش فى كنف بيت النبوة وإلى جوار الرسول ﷺ.



وكانت السيدة سودة تحب عائشة حبًّا كثيرًا، وكانت عائشة تبادلها هذا الحب، ولذلك تقول عائشة: ما من امرأة أحب أن أكون فى مسلاخها (أى فى مثل هيبتها وطريقتها) إلا سودة إلا أنها فيها حدَّة تسرع منها الفيئة (تقصد أن فيها بعض التسرع والتعجل).

وكانت السيدة سودة جليلة نبيلة كثيرة العبادة والطاعة، وتحب الصدقة، فقد بعث إليها عمر - رضى الله عنه- بغرارة دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: في الغرارة مثل التمر، يا جارية، بلغيني القنع، ففرقتها.

وذات يوم، قالت زوجات النبى ﷺ له: يا رسول الله، أيُّنا أسرع لحاقًا بك؟ قال: أطولكن يدًا. فأخذن قصبة وجعلت كل واحدة منهن تقيس ذراعها بها، فكانت سودة بنت زمعة بنت قيس أطولهن ذراعًا، ولما توفي رسول الله ﷺ كانت زينب بنت جحش أول نساء رسول الله ﷺ لحوقًا به.. فعرفن بعد ذلك أنما كان طول يدها الصدقة وكانت امرأة تحب الصدقة.

وكانت سودة على قدر كبير من خفة الروح، وتحب دائمًا أن تُدخل السرور على قلب رسول الله ﷺ، وتضحكه أحيانًا كثيرة ببعض كلماتها وتصرفاتها، فذات يوم صلَّت خلف رسول الله ﷺ صلاته بالليل، فلما

أصبحت قالت: يا رسول الله، صلَّيت خلفك البارحة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم. فضحك النبى ﷺ.

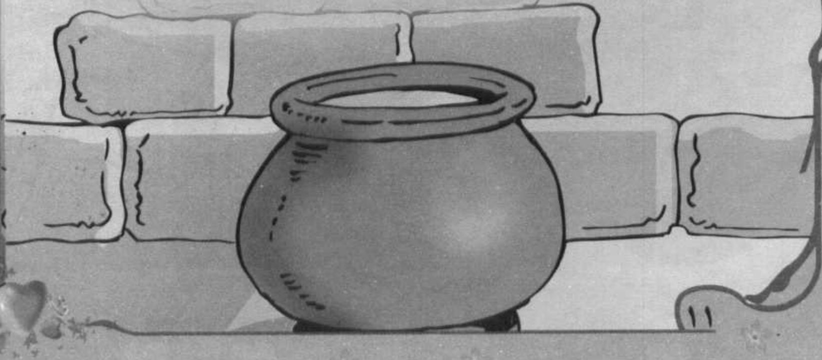
وكان نساء النبى يعرفن فيها خفة الروح أيضًا، فكن يمزحن معها فى أوقات كثيرة، فذات يوم كانت تجلس مع عائشة وحفصة، فقالا لها: إن الدجال قد خرج، فخافت سودة وأسرعت نحو بيت كانوا يوقدون فيه واختبأت فيه، واستضحكتا.. وجاء رسول الله ﷺ، فقال: ما شأنكما؟ فأخبرتاه بما كان من أمر سودة، فذهب إليها. فقالت: يا رسول الله، أخرج الدجال؟ فقال ﷺ: لا، وكأن قد خرج، فخرجت وجعلت تنفض عنها بيض العنكبوت.

وذات يوم، صنعت عائشة حريرة (طعام مصنوع من الدقيق واللبن أو الدهن)، وكانت سودة جالسة عندها، ورسول الله بينهما.. فقالت عائشة لسودة: كلي. فقالت سودة: لا أشتهي ولا آكل.. فقالت عائشة: لتأكلن أو لألطخن وجهك فلطخت وجهها.. فضحك رسول الله ﷺ.. فأخذت سودة من الحريرة ولطخت وجه عائشة.. ورسول الله



يضحك.. حتى سمع صوت عمر ينادى بالباب فقال رسول الله ﷺ: قوما فاغسلا وجوهكما فإن عمر داخل.

وعلى الرغم من كبر سن سودة إلا أنها كانت قليلة الخبرة فى الكثير من الأمور، مما يجعلها قد تتورط كثيرًا نتيجة تصرفاتها، تقول عائشة: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت رسول الله ﷺ منه شربة. فقلت: أما والله لأحتالن له.. فذكرت ذلك لسودة وقلت لها: إذا دخل عليك رسول الله فإنه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير (عسل نحل جمعه النحل من زهر شجر كريه الرائحة) فإنه سيقول لك: لا. فقولي له: ما هذا الريح؟ وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة.. فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل. فقولي جرست نحله العرفط، وسأقول ذلك، وقوليه أنت يا صفية.



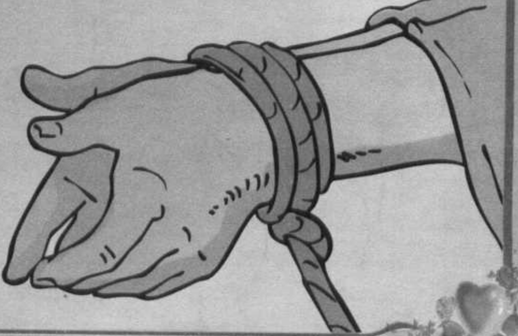
فلما دخل النبى ﷺ على سودة، همت أن تقول له ما قالت عائشة وهو ما زال على الباب خوفًا من عائشة.. فلما دنا رسول الله ﷺ من سودة قالت: يا رسول الله أكلت مغافير. قال: لا . قالت: فما هذا الريح؟ قال: سقتنى حفصة شربة عسل.. قالت: جرست نحله العرفط.

فلما دخل النبى ﷺ على عائشة قالت له مثل ذلك ثم دخل على صفية، فقالت له مثل ذلك.. فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه. قال: لا حاجة لى به.

فلما حدث ذلك أدركت سودة أن فعلها مع عائشة وحفصة أدَّى إلى أن يحرم رسول الله ﷺ شيئًا حلالاً، فقالت لعائشة وحفصة: سبحان الله .. والله لقد حرمناه. فزجرتها عائشة وقالت لها: اسكتى.

سودة وأسارى بدر:

لما قدم المسلمون بالأسرى من قريش فى غزوة بدر، كانت سودة بنت زمعة زوج النبى عند آل عفراء، وذلك قبل أن يضرب الحجاب على



زوجات النبى ﷺ، تقول سودة فى ذلك: والله إني لعندهم إذ أتينا فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتي بهم. قالت: فرحت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يده إلى عنقه بحبل -وسهيل بن عمرو من أبناء عمومتها وأخو زوجها السابق السكران بن عمرو- قالت: فوالله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: يا أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراما.

فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺمن البيت يا سودة، أعلى الله وعلى رسوله تحرضين؟ قالت: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت.

سودة تهب يومها لعائشة:

كانت سودة -رضى الله عنها- قد كبرت سنها، وزهدت فى الحاجة إلى الرجال، فخافت أن يفارقها رسول الله ﷺ، فقد كانت تحب أن تبعث فى نسائه ﷺ، فقالت: يا رسول الله، يومي الذي يصيبني لعائشة وأنت منه في حل فقبله النبي، تقول عائشة: لما كبرت سودة

وهبت يومها لى، فكان رسول الله ﷺ يقسم لي بيومها مع نسائه.

وفى ذلك أنزل الله عز وجل

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(النساء:١٢٨)،

وكانت تبتغى بذلك رضا رسول الله ﷺ.

سودة فى حجة الوداع:

وفى حجة الوداع خرج النبى ﷺ بجميع زوجاته ليؤدين معه فريضة الحج، وكانت سودة ثقيلة الجسم سمينة، مما أضعف حركتها، فكانت تخشى على نفسها من شدة الزحام فاستأذنت من رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع قبل ازدحام الناس فأذن لها. وبعد أن انتهى الرسول ﷺ من أداء المناسك قال لزوجاته: هذه ثم ظهور الحصر (أى عليهن ملازمة بيوتهن بعد ذلك) فكانت سودة - رضى الله عنها- تقول: لا أحج بعدها. قال أبو هريرة: وكان كل نساء النبى ﷺ يحججن إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش

قالتا: لا تحركنا دابة بعد رسول الله ﷺ.

وكانت تقول فى ذلك أيضا: قد حججت واعتمرت فأنا أقعد في بيتي كما أمرني الله.

بين سودة وعمر:

تقول عائشة: كان أزواج رسول الله ﷺ يخرجن بالليل إلى حوائجهن.. فكان عمر يقول لرسول الله ﷺ احجب نساءك فلم يكن يفعل فخرجت سودة ليلة من الليالي، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة،حرصًا على أن ينزل الحجاب.

وتذكر عائشة موقفًا آخر فى هذا الشأن حيث تقول: كنت أنا وسودة بعدما ضرب الحجاب خرجنا لحاجتنا عشاء، فرآها عمر فعرفها، قالت عائشة: وكانت امرأة طويلة بائنة الطول فناداها عمر: إنك والله ما تخفين علينا يا سودة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، وفي يد رسول الله ﷺ عرق يأكل منه، قالت: قال رسول الله ﷺ: قد أذن الله لكن أن تخرجن لحاجتكن.

وفاتها:

وفى شوال سنة ٥٤هـ فى خلافة معاوية بن أبى سفيان توفيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة -رضى الله عنها-، وقيل توفيت فى خلافة عمر والأول هو الصحيح.